آدم
بين الكتاب المقدَّس والقرآن

الخوراسقف يوسف فخري
مُدَرِّس الكتاب المقدَّس
واللغات الكتابيَّة القديمة

مقدِّمة

يتَحَدَّث القرآن عن وُجُوهٍ عديدةٍ من الشخصيّات الكتابيَّة، فَيُسَمِّي أصحابَها تارةً مُبَشِّرين ومُنذرين[١] وطورًا أنبياءَ ومُرسَلين[٢]! لكن قَبلَ توضيح هذه المصطلحات القُرآنيَّة، لا بُدَّ لنا من مَعرفةِ العبارتين الأساسيَّتَين: النبيّ والرسول في المفهوم الإسلاميّ والفَرق بينهما ! ألنبيُّ: يَأتيه الوحيُ من الله، ولكنَّهُ غير مُكلَّف بالدَعوَةِ إلى الله، فهو فقط رجل صالح في مَكانَةِ الأنبياء، واصطفاهُ الله من بين عِبَادِه ليكون كذلك. أمَّا الرسول فهو نَبِيٌّ أوَّلاً، ثُمّ أنَّه مُكَلَّفٌ من قِبَلِ الله بأن يدعو الناسَ إلى الإيمان بِهِ. الرسولُ يُمكن مناداته بنَبِيٍّ أو رسول، أمَّا النَبِيُّ فلا يجوز أن يُطلَقَ عليه اسمُ رسول!

قال علماء الإسلام، يقول القرآن: "ومَنْ يَكفُر باللهِ وملائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا" (ألنساء، ١٣٦). والمراد بالرسالة هنا ما يَعُمُّ النبوءة، ذلك لأنّ الرسلَ كُلَّهُم أنبياء، ولكن ليس كلُّ الأنبياءِ رُسُلاً، لأنَّ الرسولَ هو نبيٌّ أوحَى اللهُ إليه بِشَرْعٍ جديدٍ أي أحكامٍ جديدةٍ يُعَلِّمُها للَّذين أُرسِلَ إليهم، أمَّا النَبِيُّ فهو الذي أُوحِيَ إليه أن يعمل بِشَرعِ الرسولِ الذي كان قَبْلَهُ ولم يُوحَ إليه بِشَرعٍ جديدٍ.

ذَكَرَ القرآنُ خمسةً وعشرين نبيًّا ورسولاً[٣]، فذَكَرَ في مواضِعَ مُتَفَرِّقة آدم[٤] وهودًا[٥] وصالحًا[٦]

(١) "كان الناس أُمَّة واحدة فبعث الله النَّبيّين مبشِّرين ومُنذرين، وأنزل معهم الكِتَبَ بالحقّ ليَحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه..." (البقرة، ٢١٣).

(٢) "أولئك الذين أنعم عليهم من النبيّين من ذرّيّة آدم... " (مريم، ٥٨).

(٣) أسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن: أوّلاً، شبه جزيرة العرب، وبَعَثَ فيها: آدم، هود، صالح، إسماعيل، شُعيب، محمد. ثانيًا، أرض العراق، وبَعَثَ فيها: إدريس، نوح، إبراهيم، يونس. ثالثًا، بلاد الشام وفلسطين، وبَعَثَ فيها: لوط، إسحاق، يعقوب، أيوب، ذو الكفل، داود، سليمان، إلياس، اليسع، زكريا، يحيى، عيسى. رابعًا، مصر، وبَعَثَ فيها: يوسف، موسى، هارون.

(٤) أبو البشريّة. "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىَ آدَمَ..." (آل عمران: ٣٣).

(٥) هو هود بن صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن آخنوخ (إدريس) بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم. نبيّ أرسله الله إلى قبيلة عاد. ولقد كانت مساكن عاد في أرض الأحقاف، من جنوب شبه الجزيرة العربيّة. والأحقاف شمال حضرموت، وشمال الأحقاف الربع الخالي، وفي شرقها عُمان. وموضع بلادهم اليوم رمال قاحلة، لا أنيس فيها ولا ديار. "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" (هود، ٥٠).

(٦) هو النبيّ صالح بن عبيد بن أسف بن ماشخ بن عبيد بن صالح بن جابر بن ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح. أرسله الله إلى قوم ثمود – قبيلة من القبائل العربيّة البائدة، المتفرّعة من أولاد سام بن نوح، وهي قبيلة ثمود، وسمّيت بذلك نسبة إلى أحد أجدادها، وهو: ثمود بن عامر بن إرم بن سام

وشُعيبًا[٧] وإسماعيل وإدريس وذا الكفل[٨] ومحمدًا[٩]. وذكر ثمانية عشر منهم في مَوضِعٍ واحدٍ[١٠]، بينهم خمسة سُمُّوا قَبلَ أن يُولَدُوا: إسحق، يعقوب[١١]، يحيَى[١٢]، عيسى[١٣]، محمَّد[١٤]. وإليكم لائحة باسماءِ الأنبياء والرسل حسب الترتيب الزمنيّ ومُدَّة حياتهم وفترة تبشيرهم كما وردت في القرآن والتقليد الإسلاميّ:

الترتيب الزمنيّ	الإسم	نبيّ	رسول	مدّة حياته تقريبًا	الفترة الزمنيّة التي أُرسل فيها
١	**آدم**	X		١٠٠٠ أو ٩٥٠ سنة	–
٢	**إدريس (أخنوخ)**	X		٨٣ سنة	–
٣	**نوح**	X	X	٩٥٠ سنة أو أكثر	٣٩٠٠ : ٢٩٠٠ ق. م.
٤	**هود**	X	X	١٥٠ سنة	٢٥٠٠ : ٢٢٠٠ ق. م.
٥	**صالح**	X	X	٥٨ سنة	٢٠٠٠ : ١٩٠٠ ق. م.
٦	**إبراهيم**	X	X	١٧٥ سنة	١٨٦١ : ١٦٨٦ ق. م.
٧	**لوط**	X	X	١٧٥ سنة	١٨٦١ : ١٦٨٦ ق. م.
٨	**إسماعيل**	X	X	١٤٣ أو ١٢٠ سنة	١٧٨١ : ١٦٣٨ ق. م.
٩	**إسحق**	X		١٨٠ أو ١٧٨ سنة	١٧٦١ : ١٥٨١ ق. م.

بن نوح. وصالح من هذه القبيلة، ويتصل نسبه بثمود – وكانوا قومًا جاحدين آتاهم الله رزقًا كثيرًا ولكنّهم عصوا ربّهم وعبدوا الأصنام وتفاخروا بينهم بقوّتهم فبَعَثَ الله إليهم صالحًا مبشّرًا ومنذرًا ولكنّهم كذّبوه وعصوه وطالبوه بأن يأتي بآية ليُصَدِّقوه: "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ..." (هود، ٦١).

(٧) شُعيب هو نبيّ الله إلى شعب مِديَن، قال عنه محمد: "ذاك خطيب الأنبياء"، يُقال أنّه ابن ميكيل بن يشجن، يُقال أنّ جدته أو أُمّه هي بنت لوط، والثابت هو أنّه من مِديَن الواقعة في أطراف الشام. في منطقة وادي شعيب في الأردن، يُعتقد أنّه عاش ٢٤٢ سنة. سُمّي شعيبًا لأنّ والده لمّا رزقه كان يدعو لربّه: إلهي وسيّدي، إنّك قد أكثرت عليّ الشعوب والقبائل بأرض مِدين، فبارك لي في شعبي هذا "يعني ولده"، فرأى في منامه "أنّ الله بارك لك في شعبك هذا"، ومن هنا جاء الاسم تصغيرًا لكلمة شعب العربيّة. كذلك جاء ذكر النبيّ شُعيب في سفر الخروج (שמות) الفصل الثاني، ولكن دعي باسم آخر هو **يترو יתרו أو يترون، יתרון**، وهو كاهن مدين وحمي موسى: "وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ..." (هود ٨٤).

(٨) إدريسُ هو أخنوخ المذكور في سفر التكوين. أمّا ذو الكفل، فيعتقد العديد من الباحثين والمؤرّخين أنّه هو نفسه **النبيّ حزقيال** (יְחֶזְקֵאל) **الذي** سُبي إلى العراق سنة ٥٩٧ ق. م. يعتقد المسلمون أنّه مقبور في بلدة الكفل التي هي بلدة عراقيّة تقع بين بابل والنجف وكربلاء جنوب العراق قرب نهر الفرات. يوجد فيها قبر يعتقد أنّه قبر النبيّ حزقيال (ذو الكفل) ولهذا سمّيت البلدة بالكفل: "وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ" (الأنبياء، ٨٥).

(٩) "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ..." (الفتح، ٢٩).

(١٠) "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (الأنعام: ٨٣–٨٦).

(١١) "وَامْرَأَتُهُ (**إمرأة إبراهيم**) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" (هود، ٧١).

(١٢) هو القدّيس يوحنّا المعمدان: "يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى" (مريم، ٧).

(١٣) هو الربّ يسوع المسيح: "إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (آل عمران، ٤٥).

(١٤) "... وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (الصف، ٦).

١٠	يعقوب	X		١٤٧ سنة	١٨٠٠ : ١٦٥٣ ق. م.
١١	يوسف	X		١١٠ سنة	١٦١٠ : ١٥٠٠ ق. م.
١٢	شُعيب (يترو كاهن مِديَن)	X	X	–	ما بين القرنين ١٦، ١٥ ق. م.
١٣	أيوب	X		٩٢ سنة	ما بين القرنين ١٦، ١٥ ق. م.
١٤	ذو الكفل (النبيّ حزقيال)	X		٧٥ سنة	ما بين القرنين ١٦، ١٥ ق. م.
١٥	موسى	X	X	١٢٠ سنة	١٤٦٣ : ١٣١٦ ق. م.
١٦	هارون	X		١٢٢ سنة	١٤٣٩ : ١٣١٧ ق. م.
١٧	داود	X		٧٠ سنة	١٠٤٢ : ٩٧٢ ق. م.
١٨	سليمان	X		٥٣ سنة	٩٨٥ : ٩٣٢ ق. م.
١٩	إلياس (مار إلياس النبيّ)	X	X	–	حوالى القرن ٩ ق. م.
٢٠	إليساع (مار إليشاع النبيّ)	X		–	حوالى القرن ٩ ق. م.
٢١	يونس (النبيّ يونان)	X	X	–	حوالى القرن ٨ ق. م.
٢٢	زكريّا (الكاهن والد المعمدان)	X		١٢٠ سنة	١٠٠ : ٢٠ ق. م.
٢٣	يحيا (مار يوحنّا المعمدان)	X		٣٠ سنة	١ : ٣٠ ق. م.
٢٤	عيسى (المسيح يسوع)	X	X	٣٣ سنة	١ : ٣٣ ق. م.
٢٥	محمَّد	X	X	٦٣ سنة	١ : ٣٣ ق. م.

هؤلاء جميعًا يَعتَبِرُهُم القرآنُ مُسلِمين[١٥] إعتَنَقُوا الإسلامَ قَبلَ الإسلام! حَتىَّ بَلقيس ملكةُ سَبأ التي زَارَت الملك سليمان، أَعلَنَتْ إسلامَها[١٦]. ولقد أيَّدَهُم الله بالمعجزات والآيات ليُثَبِّتَ صِحَّةَ دَعوَتِهم ورسالتِهم ولتُؤمِنَ على أيديهم الشعوب، ولكنَّهم كُوفِئوا بالرَفض والقتل[١٧]. سَمَّاهُم القرآن رُسلاً وأنبياء[١٨]، في حين أنَّ البيبليا لا تُطلِقُ لقبَ "نَبيٍّ"، profhthj، aybn، إلاَّ على أشخاص مُحَدَّدين لَعِبوا دورًا رائدًا في تاريخ الخلاص وهَيَّأوا لمجيء المسيح يسوع. فالنبيُّ، بحسب المفهوم البيبليّ، هو قبل كلِّ شيءٍ، إنسانٌ يَتَكَلَّم باسم الله.

هو صوتٌ صارخٌ أمامَ الله في بَرِّيَّة العالم، يُهَيِّئُ له الطريق. إنَّه ترجمان الله ورسوله لدى الشعوب. يرى ما لا يراه الناس، لأنَّه ينظر إلى الأمور بعين الله. هو إنسان حَلَّ عليهِ روحُ الربِّ فاتَّحَدَ بالرَبِّ اتِّحادًا حَميمًا. ورسالة النبيَّ البيبليّ لها وجهان: وجه يتعلَّق بالحاضر (أي في زمن رسالته)، ووجه يتعلّق بالمستقبل؛ فالنَبِيُّ هو صوت الله في ضمائر البشر! يُصلِحُ الأخطاءَ، ويشدِّد على

(١٥) "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ (أي إبراهيم) أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (البقرة، ١٣١ و١٣٢).

(١٦) "... وَأَسْلَمْتُ (بلقيس ملكة سبأ) مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل، ٤٤).

(١٧) "قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"(البقرة، ٩١).

(١٨) في البيبليا يوجد أربعة أنبياء كبار وهم: أشعيا، إرميا، حزقيّال ودانيال، كما يوجد إثنا عشر نبيّ صغير وهم: هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجّاي، زكريّا وملاخي. ويُطلق لقب نبيّ أيضًا على: إبراهيم، هارون، موسى، صموئيل، جاد، ناتان، إيليّا، أليشاع....

الأمانة لعهد الربِّ، ويدافع عن المظلومين والبائسين، ويدعو إلى التوبة الحقيقيّة، ويَنظُرُ إلى المستقبل نظرة رجاء وخلاص، فيُعَزِّي الشعبَ ويُشَجِّعُه، ويطلب منه أن يَتَطَلَّعَ إلى المسيح المُنتظر الذي سيأتي ويُحقِّق مواعيد الله لشعبه ويخلِّصه. أمَّا لقب "رسول"، apostoloj[١٩] فلا يَرِد في العهد القديم إطلاقًا، بل أُطلِق في العهد الجديد على يسوع[٢٠] مُرسَل الآب ورُسُلِه وتلاميذه حَامِلِي بشارَتِه.

إذًا، هناك تمايزٌ بين الكتاب المقدَّس والقرآن في شأن الشخصيّات البيبليّة وَسِيَرِ حياتها، في شأن أَلْقَابِها، في مَهمّاتِها، في رسالتِها، في دورها الرئيسيّ في تاريخ الخلاص. ففيما القرآن يرتقي بالدعوة الإسلاميّة إلى أبي الديانات التَوحيديَّة، إبراهيم، لا بل يرتقي إلى آدم، أبي البشريّة، ويُطلِقُ عليهما وعلى ذُرِيّتِهما لَقَبَ "مُسلِمين"، وذلك خِدمةً للديانة المُحَمَّدية، نرى أنَّ الكتابَ المقدَّس لا يُطلِقُ لقبَ "نبيٍّ" إلاَّ على شخصيّات مُحَدَّدة في تاريخ الخلاص تَنبَّأت عن مجيء المسيح يسوع وهيَّأت لقدوم المخلّص يسوع فادي البشريَّة. أمَّا لَقبُ "رسول" فَأُطلِقَ على شخصيّات حَمَلت بُشرَى الخَلاص، أي بشرى سرّ تَجَسُّدِ الربّ يسوع وحياتِه وموتِه وقيامتِه إلى كلِّ الشعوب.

آدم في الكتاب المقدَّس والقرآن

يتناول هذا البحث المقارنة بين البيبليا والقرآن في موضوع آدم[٢١]؛ ففي حين أنّ البيبليا تذكر آدم في موضع واحد[٢٢]، يذكره القرآن في سبعة مواضع[٢٣] وفي عدَّة آيات من سُورَاتِه[٢٤]. ويُبَيِّنُ البحثُ كذلك أوجُهَ التشابه بين البيبليا والقرآن وأوجُهَ الاختلاف بينهما.

١ – أوجه التشابه بين البيبليا والقرآن في قصّة آدم:

أ. **خُلِقُ آدمُ من تراب**: تتحدَّث البيبليا عن أنَّ الله خلق آدم، אָדָם، من التراب، hmda (تك ٢: ٧). إذًا، هو شيء أرضيّ؛ إنَّه من الأرض ويرتبط بها وإليها يعود[٢٥]. تريد البيبليا أن تُثبت أنَّ الإنسان مرتبط تمام الارتباط بالأرض، وبالتالي أنّه من جوهر بُنيَتِه سريع العطب، مائتٌ وذليلٌ في وَضعِه[٢٦]. أمَّا في القرآن، فالآيات التي تتحدَّث عن خلق

(١٩) يُطلِق القرآن لقب رسول على أشخاص جاؤوا قبل عهد يسوع والرسل؛ فالرسول في العهد الجديد هو من يحمل بشارة المسيح إلى العالم أجمع (مت ٢٨: ١٩).

(٢١) تسعى البيبليا إلى شرح طبيعة الإنسان إستنادًا على اشتقاق الكلمات حسب العقليّة السَاميَّة السائدة: "آدم"، אָדָם – آدمه، אֲדָמָה. كلمة "آدم" هنا كلمة لاسمٍ عامّ كما في تك ١: ٢٦، وليست اسمَ عَلَم، وهي تشتَّق، حسب البيبليا، من "آدمه"، אֲדָמָה، "الأرض"؛ فالإنسان هو شيء أرضيّ، إنّه من الأرض وبها يرتبط وإليها يعود.

(٢٢) هو سفر التكوين! يذكر هذا السفر خلق آدم مرّتين: "فَخَلَقَ اللهُ الإِنسانَ (آدم، הָאָדָם) على صُورَتِه، على صُورَةِ اللهِ خَلَقَه، ذَكَرًا وأُنثى خَلَقَهم" (١: ٢٧)؛ و"وجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ الإِنسانَ (آدم، הָאָדָם) تُرابًا مِنَ الأَرض ونَفخَ في أَنفِه نَسَمَةَ حَياة" (٢: ٧). ويذكر خلق حوّاء من ضلع آدم: "وبَنى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتي أَخَذَها مِنَ الإِنسانِ امرَأَةً، فأَتى بِها الإِنسان" (٢: ٢٢)، ويذكر أيضًا تسمية المرأة بحوّاء: "وسمَّى الإِنسانُ (آدم، הָאָדָם) امرَأَتَه حَوَّاءَ (חַוָּה) لأَنَّها أُمُّ كُلِّ حَيّ" (٣: ٢٠). كما يذكر سقطة آدم وحوّاء (تك ٣).

(٢٣) سورة البقرة: ٣٠–٣٨، سورة الأعراف: ١١–٢٥، سورة الحجر: ٢٨–٤٤، سورة الإسراء: ٦١–٦٥، سورة الكهف: ٥٠، سورة طه: ١١٥–١٢٤، سورة ص: ٧١–٨٥.

(٢٤) هناك ٢٥ آية قرآنيّة تتحدَّث عن آدم: خَمسُ آياتٍ خاطب الله بها الملائكة ليسجدوا لآدم، خَمسُ آياتٍ خاطب الله بها آدم نفسه، خَمسُ آياتٍ خاطب الله بها بني البشر عن آدم، خَمسُ آياتٍ تحدَّث الله فيها عن آدم، خَمسُ آياتٍ تحدَّث الله فيها عن البشر من بني آدم.

(٢٥) "بِعَرَقِ جَبينِكَ تأكُلُ خُبزًا حتَّى تَعودَ إِلى الأَرض، فمِنها أُخِذتَ لأَنَّكَ تُرابٌ وإِلى التُّرابِ تعود" (تك ٣: ١٩).

(٢٦) أ. لويس خليفة، **اللاهوت والتفسير البيبليّ الحديث** – ١، ص ١٢٧–١٢٨.

آدم لم تذكر لفظة "التراب"، إنّما ذُكِرَت في آيات أُخرى[٢٧]. في رواية خلق آدم، ذُكِر الطين[٢٨]، في سورة الحجر ذُكِرَ الصلصال والحَمَأ المسنون[٢٩]؛ فالقرآن لا يتعارض مع البيبليا، فهو يَتَحَدَّث عن مراحل[٣٠] خلق آدم؛ فهو من تراب، والتراب مع الماء يصبح طينًا، والطين الذي يُترَك فترة من الزمن يَنتِن ويصبح حَمَأ، فإذا جَفَّ صار صلصالاً. أمّا الآيات الأخرى فكان ذكر الطين على لسان إبليس[٣١]. لم يُذكَر الطين والحمأ والصلصال في البيبليا. إذًا، يتّفق القرآن مع البيبليا على أنّ آدم خُلق من التراب.

ب. **نفخ الله من روحه في آدم**: تقول البيبليا، أنَّ الله، بعد أن خلق آدم، نفخ فيه نسمة حياةٍ[٣٢] لكي يصبح التراب أو الخزف الجامد كائنًا حيًّا منتعشًا. لذا، عند موت الإنسان، ينقطع الجسد عن الحياة. وهكذا يبدو الموت انفكاكًا. يتفكّك الإنسان إلى جسدٍ وحياةٍ، إلى تراب ونفسٍ حيّة؛ هذا هو علم الأنتروبولوجيا البيبليّة! والقرآن يشاطر البيبليا هذا الرأي أنَّ آدم الطين والحمأ والصلصال صار حيًّا بِفَضلِ نَسَمَةِ الله التي نُفِخَت فيه[٣٣].

ج. **شجرة معرفة الخير والشرّ**: تقول البيبليا أنَّ الله غَرَسَ في جنَّةِ عَدْنٍ شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشَّر[٣٤] التي ترمز إلى الله بالذات. إنّ معرفة الخير والشَّرّ تعني تقرير ما هو خير وما هو شرٌّ، تقريرًا شخصيًّا بمعزل عن أيّ تدخُّل من الله. أراد آدمُ أن يُقَرِّرَ بِنَفسِهِ ما هو خيرٌ وما هو شَرٌّ، لا استنادًا إلى حُكم الله بل استنادًا على حُكمِه وقراره الذاتيّ. وهكذا تبرز الخطيئة كَتَمَرُّدٍ على الله وعلى سُلطَانِه. لا يريد الإنسانُ أن يطيع الله، ولا يريد أن يخضع لشرائعه الإلهيّة، فهو يريد أن يقيم ذاته دستورًا لذاته. يتوافق القرآن مع البيبليا في إباحة الأكل من كلّ شجر جنَّةِ عَدْنٍ باستثناء واحدة[٣٥].

د. **تعليم آدم الأسماء**: تقول البيبليا أنَّ الله بعد، أن خلق آدم، مَنَحَهُ سلطانَ تَسمِيَةِ كلِّ الأشياء في الوجود بأسمائها، علامة لِسُلطَتِه المُكتَسَبَة على المخلوقات[٣٦]. والقرآن يذكر تعليم آدم في مكان واحد[٣٧] أيضًا.

(٢٧) "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران، ٥٩).

(٢٨) "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ" (ص، ٧١).

(٢٩) "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" (الحجر، ٢٨).

(٣٠) لقد مَرَّ خَلقُ آدم بِعِدَّةِ مراحل وَفقَ الترتيب الآتي: **أوّلاً**: مرحلة الطين: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (ص، ٧١). **ثانيًا**: مَرَّتْ مُدَّةٌ على طِينَة هذا المخلوق الجديد تَحَوّلَت إلى حمأ مسنونًا، ثمّ جَفَّت فصارت صلصالاً (الحمأ: الطين الأسود المنتن. المسنون: المصقول المُمَلَّس. الصلصال: الطين اليابس الذي إذا نقر بشيء أعطى صوتًا فيه ترجيع). **ثالثًا**: ثمّ مَرَّت فترة جعل الله فيها الصلصال المُعَدَّ ليكون جسدَ آدم ذا صورة، وهي الصورة التامّة لآدم قبل نفخ الروح فيه. وفي يوم الجمعة خُلِقَ آدم كما ورد في الحديث "خلق الله آدمَ يوم الجمعة". وكان طول آدم ستّين ذراعًا: "خلق الله آدم وطوله ستّون ذراعًا..." (البخاري، رقم ٣٣٢٦). **رابعًا**: ثمّ نفخ الله في جسد آدم الذي اكتمل خلقه وتصويره من روحه: "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ" (السجدة، ٩).

(٣١) "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (ص، ٧٦).

(٣٢) "وجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ الإنسانَ تُرابًا مِنَ الأَرض ونَفَخَ في أَنفِه نَسَمَةَ حَياة، فصارَ الإنسانُ نَفْسًا حَيَّة" (تك ٢: ٧).

(٣٣) "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ" (السجدة، ٩).

(٣٤) "وأَنبَتَ الرَّبُّ الإلهُ مِنَ الأَرضِ كُلَّ شَجَرَةٍ حَسَنَةِ المَنظَر وطَيِّبَةِ المأكَل، وشَجَرَةَ الحَياةِ في وَسَطِ الجَنَّة، وشَجَرَةَ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ... مِن جَميعِ أَشْجارِ الجَنَّةِ تأكُل، وأَمَّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ فلا تَأكُلْ مِنها، فإِنَّكَ يَومَ تأكُلُ مِنها تَموتُ مَوتًا" (تك ٢: ٩ و١٧).

(٣٥) "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة، ٣٥).

(٣٦) "وجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ مِنَ الأَرضِ جَميعَ حَيَواناتِ الحُقول وجَميعَ طُيورِ السَّماء، وأَتى بِها الإنسانَ لِيَرى ماذا يُسَمِّيها، فكُلُّ ما سمَّاه الإنسانُ من نَفْسٍ حَيَّةٍ فهوَ اسمُه. فأَطلَقَ الإنسانُ أَسْماءَ على جَميعِ البهائمِ وطُيورِ السَّماءِ وجَميعِ وُحوشِ الحُقول" (تك ٢: ١٩–٢٠).

(٣٧) "وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (البقرة، ٣٠ و٣١).

هـ. **الأكل من الشجرة المحرَّمة والعُري:** إنَّ التَطاولَ والتَعدِّي على "شجرة معرفة الخير والشَّر" التي ترمز إلى الله بالذات، لا تعني مجرَّد التمييز بين الخير والشَّر، فهذا من ميزات الإنسان العاقل، بل بالأحرى **السلطة على تقرير** ما هو خيرٌ وما هو شَّرٌ، وهذا أمرٌ محفوظ لله الذي يُعَلِّم الإنسانَ ما هو خيرٌ وما هو شرٌّ في ما يُعطِيه من وصايا. فخطيئة الإنسانِ إذًا تقوم على التمرُّد على الله ورفض وصاياه، وهذا ما فعله آدم وحواء، ولقد عَبَّرَت البيبليا عن نتيجة تطاولهما على الشجرة المحَّرمة "بـالعُري"[٣٨]. والعُريُ هنا يعني ضعف الإنسانِ وعَجزه. وهنا يوافق القرآن البيبليا في موضوع عُري آدم وحوّاء[٣٩] بعد التَعَدِّي على الشجرة المُحَرَّمة، ولكنّ البيبليا زادت في التفاصيل فبيّنت أنّ حوّاء بَدَأت بالأكل وأعطَت زوجَها الذي أكل دون تَرَدُّد، وأنَّهُمَا سَتَرَا عُريَهُمَا بأوراق التين.

٢ – أوجه الإختلاف بين البيبليا والقرآن في قصة آدم

بعد أن بَيَّنّا في بَحثنا هذا أَوجُهَ التَشَابُه بين البيبليا والقرآن في قصّة آدم، نُبَيِّنُ الآن الاختلاف بينهما:

أ. **إعلام الملائكة بخلق آدم:** لم تذكر البيبليا أنَّ الله أَعلَمَ الملائكةَ أو غيرَهم بأنَّه سيَخلُق الإنسانَ، أمَّا القرآن فقد ذَكَرَ ذلك بُغيَةَ تَبيَانِ فَضلِ آدم ومكانَتِه عند الله[٤٠].

ب. **السجود لآدم:** بعد أن سَوَّى اللهُ آدمَ ونفخ فيه من روحِه أمر ملائكتَه بالسجود له[٤١]، فاستجاب الملائكة فورًا للأمر الإلهيّ إلاَّ إبليس الذي تَكَبَّر وأَبَى أن يسجد له[٤٢]. يشرح الطبري في كتابه **تاريخ الملوك والأمم** هذا السجود بأنّه تكريم وطاعة لأمر الله وليس عبادة وتعظيمًا لآدم[٤٣]. سأل الله إبليس عن السبب الذي حَمَلَهُ على ذلك، فكان الجواب بأنَّه أَفضلُ من آدم، فهو مخلوقٌ من نارٍ، وآدم مخلوقٌ من الطين، والنار في رَأيِه أرقى من الطين، فليس من العدل أن يسجد الفاضلُ للمفضول[٤٤]. لكنَّ السبب في الحقيقة هو الكبرياء والحسد اللذان استَولَيَا على قلبِ إبليس وعقلِه، فَحَمَلاهُ على العصيان والتَمَرُّد على كلِّ شيء حتىَّ على الخالق، فكان الجَزَاءُ على استنكاف إبليس عن السجود وتَرَفُّعِه على خَلقِ آدم هو الحُكمَ عليه بالطَردِ من السَّماءِ والإبعَادِ مع صَبِّ اللعنَةِ عليه[٤٥]. وكان جوابُ إبليس: "قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (الحجر، ٣٦). قال إبليسُ مُقرًّا لله بِرُبُوبيّته: بما أنَّك حَكَمتَ عَليَّ الرجمَ والإخراجَ واللعَّنة إلى يومِ الدينِ فَأَمهِلني حَيًّا إلى يومِ الدين. فاستجاب اللهُ لِطَلَبِه وَوَعَدَه بأن يُمهلَه إلى يوم القيامة[٤٦]. ويُعلن إبليس بصراحة ووضوح

(٣٨) "فأَخَذَت مِن ثَمَرِها وأَكَلَت وأَعْطَت أَيضًا زَوجَها الَّذي مَعَها فأَكَل .فانفَتَحَت أَعيُنُهما فعَرَفا أَنَّهما عُريانان. فَخاطا مِن وَرَقِ التِّين وصَنَعا لَهُما مِنه مَآزِر" (تك ٣: ٦–٧).

(٣٩) "فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ" (الأعراف، ٢٢).

(٤٠) "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ" (ص، ٧١).

(٤١) "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" (ص، ٧١ و٧٢).

(٤٢) "فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" (ص، ٧٣ و٧٤).

(٤٣) الطبريّ، تاريخ الطبري، ٦٥/١.

(٤٤) "قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (ص، ٧٥ و٧٦).

(٤٥) "قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (الحجر، ٣٤ و٣٥).

(٤٦) "قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ × إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" (ص، ٣٧ و٣٨).

بأنَّه لن يدَّخِر وُسعًا في إغواء وإفساد بني آدم بكلِّ ما أُوتِي من وسائل[٤٧]. لذلك ها هو إبليس يتربَّصُ بالبشريَّة منذ البدء حتَّى هذا اليوم، ليُحَوِّل الناسَ عن عبادة الله وتوحيده ويُبيِّن عن خِطَّته المرسومة للإغواء[٤٨]. بالرُّغم من احتيال إبليس على عِبَادِ الله، فإنَّ الله قد حفظ عباده من غواية إبليس[٤٩].

ج. **هل إبليس من الملائكة؟** الراجح عند العلماء المسلمين أنَّه ليس من الملائكة[٥٠] لِمَا يلي: **أوَّلاً**، هناك آية في سورة الكهف صريحة في أنّ إبليس ليس من الملائك. **ثانيًا**، لو كان إبليس من الملائكة لما عصى أمرَ الله لأنّ الملائكة لا يعصون الله أبدًا[٥١]. **ثالثًا**، إبليس مخلوق من نار والملائكة من نور، كما يقول عن نفس[٥٢]. **رابعًا**، الملائكة لا يَتَّصِفُون بذُكُورة ولا أنوثة، وليس لديهم ذُرِيَّة ولا نسل، خلقهم الله ابتِدَاءً من غيرِ طريق التناسل. أمّا إبليس فقد أخبر الله بأنّ له ذُرِّيَّة[٥٣].

د. **ألخلافة في الأرض**: ورد في سورة البقرة موضوعُ خِلافَةِ الإنسانِ في الأرض[٥٤]. لم تذكر البيبليا موضوعَ الخلافة في الأرض، لكن ورد فيها أنَّ الإنسان طُلب منه أن يعمل في هذه الأرض[٥٥].

هـ. **خَلْقُ الإنسان على صورة الله ومثاله**[٥٦]: تقول البيبليا أنَّ الله خَلقَ الإنسانَ على صورته ومثاله، هذا يعني أنَّ ميراث الله للإنسان مُكَوَّنٌ من عنصرين: الصورة الإلهيَّة والمثال الإلهيِّ اللذين خُلِقَ عليهما؛ فالصورة الإلهيَّة هي ما يَتَمَتَّع به الإنسان من روحٍ وعقلٍ وإرادةٍ وحرّيَّة. والمثال الإلهيِّ هو البِرُّ والقَداسة. أمَّا القرآن فلا يذكر هذا مطلقًا، بل يبيِّن أنَّ الله "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الشورى، ١١). لكن ورد في الحديث الصحيح ما يبيِّن معنى "خلق الله آدم على صورته"؛ فَعَنْ أبي هريرة عن محمَّد قال: "خَلقَ اللهُ آدم على صورته طولُه ستونًا ذراعًا، فلمَّا خَلَقَه قال: إذهَب فَسَلِّم على أولئك النَفَرِ من الملائكة جُلُوسٌ فَاستَمِع ما يُحيُّونَكَ فإنَّها تَحيَّتُكَ وتَحيَّةُ ذُرِيَّتِكَ فقال: السلامُ عَلَيكُم، فقالوا: السلامُ عَلَيكَ ورحمةُ الله، فزادُوهُ ورحمةُ الله فكُلُّ من يَدخُل الجَنَّة على صورةِ آدم..."[٥٧]. فالحديث النبوي يبيِّن أنَّ آدم لم يُخلق على صورة الله بل على صورته هو التي خلقه الله عليها.

(٤٧) "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ × إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" (الحجر، ٨٢ و٨٣).

(٤٨) "قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ × ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" (الأعراف، ١٦ و١٧).

(٤٩) "إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ" (الحجر، ٤٣).

(٥٠) "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" (الكهف، ٥٠).

(٥١) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم، ٦).

(٥٢) "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (الأعراف، ١٢).

(٥٣) "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي" (الكهف، ٥٠).

(٥٤) "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ" (البقرة، ٣٠).

(٥٥) "فأَخرَجَه الرَّبُّ الإلهُ من جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَحرُثَ الأَرضَ الَّتي أُخِذَ منها" (تك ٣: ٢٣).

(٥٦) "وقالَ الله: لِنَصنَعِ الإنسانَ على صُورَتِنا كَمِثالِنا... فَخَلَقَ اللهُ الإنسانَ على صُورَتِه على صُورَةِ اللهِ خَلَقَه ذَكَرًا وأُنثى خَلَقَهم" (تك ١: ٢٦–٢٧).

(٥٧) البخاري، **الجامع الصحيح**، باب بدء السلام، ٦٢٢٧.

و. **الأسماء التي تعلَّمها آدم**: لم يُحَدِّد القرآن الأسماء التي تعَلَّمَهَا آدم، ولكنّ عبارة "وعلَّمَكَ أسماءَ كلِّ شيء" التي وردت في الحديث الذي يرويه أنسُ بنُ مالك عن محمد[٥٨]، تدلُّ على أنَّ الله عَلَّمَ آدم الأسماءَ لكي يُقَدِّمَهُ على الملائكة وعلى إبليس خصوصًا، كما لا يُعطي القرآن آدم سلطانًا على الحيوانات، فيقتصر دوره على السَّكن في الجنَّة والأكل منها رغدًا[٥٩]، أي ليس لآدم أيّ سلطانٍ من الله على الحيوانات. أمَّا في البيبليا، فقد أعطى الله آدم، وهو آخر مخلوق، الحرّيّةَ والسلطانَ لكي يُسمِّي هو بنفسه كلَّ الكائنات الحيَّة[٦٠]، إذ هو "صورة الله ومثاله"، أي أنَّه يَتَحَلَّى بالعقل والحرّيَّة والإرادة بالكمال والتمام.

ز. **آدم يعمل في الجنَّة ويحافظ عليها**: يذكر القرآن أنّه لم يُطلَب من آدم أيُّ عملٍ في الجنَّة، فهي لِلَّذَة والتنعُّم[٦١] فقط! أمَّا البيبليا فتَذكُرُ أنَّ الله طلب من آدم أن يحافظ على الجنَّة التي سكنها، وأن يعمل فيها، لأنَّ العملَ شريعةٌ إلهيّةٌ مقدَّسةٌ (تك ٢: ١٥). فتعتبر البيبليا أنَّ عملَ الإنسانِ أمرٌ أراده له الله منذ أن خَلَقَهُ. في المقابل، تذكر البيبليا السامريَّة العبادة مع المحافظة على الجنَّة[٦٢].

ح. **الشجرة التي حُرِّم على آدم الأكل منها**: لم يبيِّن القرآن نوعَ الشجرة أو ماهيَّتَها التي مُنعَ آدمُ الأكلَ منها[٦٣]، في حين ذَكَرَتِ البيبليا نوعَ الشجرة التي نُهِيَ آدمُ عن الاقتراب منها[٦٤] والأكل منها: إنَّها "شجرة معرفة الخير والشرِّ"! هذه الشجرة لا تعني مجرَّد التمييز بين الخير والشرِّ، فهذا من ميزات الإنسان العاقل، بل بالأحرى السلطة على تقرير ما هو خير وما هو شرٌّ، وهذا أمرٌ محفوظٌ لله وحده الذي يُعَلِّم الإنسانَ ما هو خير وما هو شرٌّ في ما يعطيه من وصايا إلهيَّة.

ط. **عاقبة الأكل من الشجرة**: لم يذكر القرآنُ أنَّ عاقبةَ الأكل من الشجرة هي الموت، لكن يُفهَم من السياق أنَّ العقاب كان الخروج من الجنَّة[٦٥].

أمَّا البيبليا فقد ذكرت أنَّ عقوبةَ الأكل من الشجرة هي الموت[٦٦]. لكنَّ البيبليا تُقَدِّم لنا "جنَّة عَدنٍ" كصورة لحياة الإنسان مع الله، وخروج آدم من الجنَّة بعد السقطة تعبيرٌ عن فُقدان الإنسان صداقة الله، وهو ما نسميّه: الموت ! لقد رفض الإنسانُ شريعةَ الله التي تحدِّد له "الخير والشرَّ"، وأراد أن يكون هو إله نفسه وشريعة نفسه، فقطع علاقته مع الله، فلا عجب من ثمَّ أن يشعر بأنّه قد أصبح بعيدًا عن الله، وبأنّ الله قد أصبح عنه غريبًا، وهذا هو الموت بحدِّ ذاته!

(٥٨) "... فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقَكَ الله بيده، وأَسْجَدَ لكَ ملائكته، وعلَّمكَ أسماء كلِّ شيء، إشفع لنا إلى ربِّك..." (البخاري، **كتاب التفسير**، ٤٤٦٧).

(٥٩) "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا" (البقرة، ٣٥).

(٦٠) "وجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ مِنَ الأَرضِ جَميعَ حَيَواناتِ الحُقول وجَميعَ طُيورِ السَّماء، وأتى بها الإنسانَ لِيَرى ماذا يُسَمِّيها. فكُلُّ ما سمَّاه الإنسانُ من نَفْسٍ حَيَّةٍ فهوَ اسمُه. فأَطلَقَ الإنسانُ أَسْماءَ على جَميعِ البهائمِ وطُيورِ السَّماءِ وجَميعِ وحُوشِ الحُقول" (تك ٢: ١٩–٢٠).

(٦١) "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة، ٣٥).

(٦٢) السامريّة / تكوين (البيبليا السامريّة في اللغة العربيّة غير مقسَّمة إلى فصول وآيات).

(٦٣) "وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"(البقرة، ٣٥).

(٦٤) "وأَمَرَ الرَّبُّ الإلهُ الإنسانَ قائلاً: مِن جَميعِ أشْجارِ الجَنَّةِ تأكُل، وأَمَّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ فلا تَأكُلْ مِنها، فإنَّكَ يَومَ تأكُلُ مِنها تَموتُ مَوتًا" (تك ٢: ١٦–١٧).

(٦٥) "فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى" (طه، ١١٧).

(٦٦) "وأَمَّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ فلا تَأكُلْ مِنها، فإنَّكَ يَومَ تأكُلُ مِنها تَموتُ مَوتًا" (تك ٢: ١٧).

ي. **خلقُ حوّاء واسمها:** لا يشير القرآن إلى خَلقِ حوّاء البتَّة، ولكن هناك آيات ظنّ بعضُهم أنّها تعني أنَّ حوّاء خُلِقَت من ضلع آدم[٦٧]! ولكنَّ الحديث يقول أنَّ الجزء الذي خُلِقَت حوّاء منه هو الضلع: "إنّ المرأة خُلِقَت من ضِلع..." (صحيح مسلم، رقم ١٤٦٨). بينما البيبليا تذكر أنَّ الله خَلقَ حوّاءَ من ضلعِ آدم! هذه صورة شعبيّة للدلالة على أنَّ المرأة والرجل هما من جبلة واحدة (تك ٢: ٢٣)، وأنّهما متساويان في الطبيعة البشريّة. وفي هذه الصورة أيضًا إصرار على أنّ الزواجَ أمرٌ مقدّسٌ أراده الله نفسه[٦٨]. ولقد سمّاها آدم "حوّاء لأنّها أمُّ كلِّ حيٍّ" (تك ٣: ٢٠)؛ فهي ليست فقط مخلوقة من شيء حيٍّ، بل لها دور أساسيّ في استمرار الحياة البشريّة. أمّا القرآن فلم يذكر اسم حوّاء بل كان يُعَبِّر عنها بزوج آدم (البقرة، ٣٥).

ك. **عري آدم وحوّاء:** يُظهرُ القرآن أنَّ آدم وحوّاء لم يكونَا عريانَين في الجنَّة[٦٩]، أمّا اللباس الذي كانا يلبسَانه فلا يعرف ماهيّته إلاَّ الله. وقد ذكر ابن جرير الطبري أقوالاً عِدَّة في هذا اللباس فقِيلَ: إنَّه الظُفر، وقِيلَ النور، وقِيلَ أنَّه لباسُ التقوى، ولكنَّ الطبري يقول: إنَّه لباسٌ وحسب[٧٠]. أمّا البيبليا فتعتبر أنَّ الابتعاد عن الله لا يقود الإنسان إلى المعرفة والحكمة، كما قالت الحيَّة: "تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفَين الخير والشرّ"، بل يقوده إلى اكتشافِ عُريِهِ، والعُريُ هنا يعني ضعف الإنسان وعجزه.

ل. **إبليس:** يَنُصُّ القرآن على أنَّ من قام بالإغواء هو الشيطان–إبليس[٧١]. غير أنَّ البيبليا لا تشير لا من قريب أو بعيد إلى إبليس وإلى دوره في إغواء آدم، بل أنَّ اسم إبليس لا يُذكَر إطلاقًا في البيبليا، فإنَّ الحيَّة هي التي أَغوَت حوّاءَ، وبالتالي حوّاء أغوت آدم. أمّا البيبليا السامريّة فتتحدَّث عن الثعبان الذي أغوى حوّاء بدل الحيَّة.

م. **الله يتمشّى في الجنَّة:** يُنَزِّه القرآنُ الله عن مُشَابَهَةِ البَشَر (التَأنيس، Anthropomorphism: anqropoj *man and* morfh form) أو أيّ من مخلوقاته؛ فاللهُ الخالقُ منزَّهٌ عن النَقصِ ومُشَابَهَةِ المخلوق. أمّا البيبليا، فتستعمل هذا الأسلوب الأدبيّ، التأنيس، Anthropomorphism، لتُعَبِّر عن قُربِ الله من الإنسان[٧٣]. هذا الأسلوب الأدبيّ كان مُقَدِمَةً لسرّ التجسّد الإلهيّ: الله صار بشرًا ! (يو ١: ١٤).

(٦٧) النساء، ١؛ الأعراف؛ ١٨٩؛ والزمر، ٦.

(٦٨) "وقالَ الرَّبُّ الإله: لا يَجبُ أن يَكونَ الإنسانُ وَحدَه، فلأَصنَعَنَّ له عَونًا يُناسِبُه" (تك ٢: ١٨). ويضيف الكاتب: "ولذلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أَباه وأُمَّه ويَلزَمُ امرَأَتَه فيَصيرانِ جَسَدًا واحِدًا" (تك ٢؛ ٢٤). وهذا النصّ سيعود إليه يسوع في حديثه عن الزواج وشجبه الطلاق (مت ١٩: ٣–٦).

(٦٩) "يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف، ٢٧).

(٧٠) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج ٥، ص ١٩٥.

(٧١) "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى" (طه، ١٢٠)، و"فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ" (الأعراف، ٢٠–٢٢).

(٧٢) التأنيس (Anthropomorphism) يعني إعطاء صفات الإنسان لغير الإنسان، أي إسناد الخصائص والصفات البشريّة إلى الجماد والحيوان والظواهر الطبيعيّة أو الخارقة، وخصوصًا الله. هذا الأسلوب الأدبيّ استعملته البيبليا، وبالتحديد "التقليد اليهوهيّ"، في سفر التكوين للتعبير عن قُرب الله من الإنسان.

(٧٣) "فسَمِعا وَقْعَ خُطى الرَّبِّ الإلهِ وهو يَتَمَشَّى في الجَنَّةِ عِندَ نَسيمِ النَّهار، فاختَبأَ الإنسانُ وامرَأَتُه مِن وَجهِ الرَّبِّ الإلهِ في ما بَينَ أَشْجارِ الجَنَّة" (تك ٣: ٨).

ن. **مسؤوليّة آدم في المعصية**: يُشيرُ القرآنُ إلى أنَّ آدم هو المخطئ وعليه تقع مسؤولية الزلّة[٧٤]. في البيبليا حوّاء هي المسؤولة[٧٥]، وآدم يتنصّل من المسؤوليّة. لقد أَغوَت الحيَّةُ حوّاءَ بالكلام المُجرَّد ونَفَختهَا بِرَجَاء بَاطِل، وهكذا خدعتها، ومع هذا نَظَرَت إلى الحيَّةُ كموضع ثقة أكثر من الله، مع أنَّ الله أظهر إرادَتَه الحسنة بأعماله؛ فالشيطان إن لم يكن قادرًا على تقديم شيء عمليًّا يُقَدِّم وعُودًا كثيرة في كلمات. هذه هي شخصيّة المُخَادِعين! عندما عاتب الله آدم على عمله، فإنّ الأخير لم ينكر خطأه لكنّه برَّر خطأه بإلقاء اللوم على الغير، فقال آدم: "المَرأَةُ الَّتي جَعَلْتَها معي هي أَعطَتْني مِنَ الشَّجَرةِ فأَكَلتُ" (تك ٣: ١٢)؛ وقالت المرأة: "الحَيَّةُ أَغوَتْني فأَكَلتُ" (تك ٣: ١٣). هكذا ألقى آدم باللوم على حوّاء بل على الله الذي أعطاه حوّاء، وألقت المرأة باللوم على الحيّة، ولم يعتذر أحدٌ منهما، بل تعترف حوّاءُ أنّها خُدِعَتْ... هذا هو حال المَخدُوعين: لا يدركون الشرَّ إلاّ بعد إتمامه، إذ تخفي الشهوةُ عنهم إدراكهم للحقيقة وتنزع عنهم المعرفة.

س. **عقاب الحيَّة**: يذكر القرآن عقاب إبليس وليس الحيَّة[٧٦]، كما يذكر عقاب كلٍّ من اتبَّع إبليس[٧٧] فمصيره جهنَّم. أمَّا البيبليا فتذكر عقاب الحيَّة: "على بَطنِكِ تَسلُكين وتُرابًا تَأكُلين طَوالَ أَيَّامِ حَياتِكِ" (تك ٣: ١٤). هكذا كلُّ إنسان يقبل أن يكون أداة للحيَّة يصير كالحيَّة، يسلك على بطنه محبًّا للأرضيّات والجسديّات، ليس له أقدام ترفعه عن التراب، ولا أجنحة تنطلق به إلى سماء الله الواسعة.

في النهاية، بالرغم من توبة آدم وحوّاء إلى خالقهما[٧٨]، فإنَّ الله أهبطهما إلى الأرض ليَنشُرا فيها الهدى[٧٩]. وأيضًا، بالرغم من معصيتهما لله فإنّ القرآن يُكَرِّم نَسلَيهِمَا[٨٠]. يقول الطبري[٨١]: "أَنزَلَ آدمُ معَهُ حين هَبَطَ من الجَنَّةِ الحجرَ الأسود، وكان أكثر بياضًا من الثلج، وعصا موسى، وكانت من آس الجنَّة". يقول الأزرقي[٨٢]: "فيعيش آدم على الأرض يَبني لله البيتَ الحَرَام في مكَّة"، ثمَّ يأمره الله بالسَّير على البيتِ الحَرَام ويطوف به، فلم تزل داره حتَّى قَبَضَهُ الله بها"[٨٣]. بينما آدم في البيبليا شخصيَّة رمزيّة، ترمز إلى كلِّ إنسانٍ خلقه الله على صورته ومثاله، لأنّ آدم في البيبليا يعني "المأخوذ من الأرض: آدم"(אָדָם– أَدَمَه אֲדָמָה)[٨٥].

(٧٤) "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا" (طه، ١١٥) و"وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى" (طه، ١٢١).

(٧٥) "فقالَ الإنسان: المَرأَةُ الَّتي جَعَلْتَها معي هي أَعطَتْني مِنَ الشَّجَرةِ فأَكَلتُ" (تك ٣: ١٢).

(٧٦) "قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (ص، ٧٧ و٧٨).

(٧٧) "قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا" (الإسراء، ٦٣).

(٧٨) "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة، ٣٧).

(٧٩) "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى" (طه، ١٢٣).

(٨٠) "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً" (الإسراء، ٧٠).

(٨١) الطبري، **تاريخ الطبري**، ٨٢/١.

(٨٢) الأزرقي، **أخبار مكة**، ٣٦/١.

(٨٣) الأزرقي، **أخبار مكة**، ٣٩/١.

(٨٤) **الكتاب المقدّس** ١٩٩٧: ٧١، حاشية رقم ٤.

(٨٥) "فيَجوزُ القَولُ إنَّ لاوِيَ نَفْسَه، وهو الَّذي يَأخُذُ العُشْر، قد أَدَّى العُشْرَ في شَخْصِ إبراهيم لأنَّه كانَ في صُلْبِ أَبيه يَومَ خَرَجَ مَلكيصادَقُ لِمُلاقاتِه" (٧: ٩–١٠).

٣ – آدم واحد أم اثنان؟ يَتَحَدَّثُ القرآنُ عن آدم واحِدٍ. أمَّا الكتابُ المقَدَّسُ فَيَتَحَدَّث عن آدَمَين، الأوَّل من التراب والثاني من السماء. لقد روى سفر التكوين خطيئة آدم وحوّاء، وكما شرحنا آنفًا، "آدم" هو اسم جماعيّ يرمز إلى كلِّ إنسانٍ، و"حوّاء تعني التي تُعطي الحياة"، لذلك آدم وحوّاء هما رمز لكلّ إنسان، وقصّة خطيئتهما هي قصّة خطيئة كلِّ إنسان. فإذا كان آدم وحوّاء قد خَطِئَا، فكلُّ البشريَّةِ المَكنُونَةِ فيهما قد خَطِئَت! ولنا في البيبليا دليل على أنَّه من الممكن أن يكون الإنسانُ مَكنُونًا في صلبِ شخصٍ آخر قبل أن يُولد، كما تقول الرسالة إلى العبرانيّين[٨٥]، التي تعتبر أنّ لاوي قَدَّم العشورَ لِمَلكيصادَقَ في شخص إبراهيم قبل أن يَفرُزَ اللهُ سِبطَ اللاويّين للخِدمَةِ الكهنوتيّة، فكان لاوي مَكنُونًا في إبراهيم لأنَّه من صلبِهِ. ولكي تَتَجَدَّدُ البشريَّة التي فَسُدَت بآدم الأوَّل، يلزمها آدمٌ ثانٍ للتَجديدِ والتقديس.

وهذا ما بيَّنه الرسول بولس في رسالته إلى أهل روما، أنَّ برَّ الله ونعمته قد ظهَرا للبشريّة الفاسدة في موت وقيامة آدم الثاني يسوع، فيقارن بين الأدَمَين[٨٦]، فيصف شقاءَ الإنسان المتضامن مع آدم الأوَّل الخاطئ، أبي البشريَّة، وخلاصَ الإنسان المتضامن مع آدم الثاني المُخَلِّص، أبي البشريَّة المتجَدِّدَة والمُخَلَّصة به. وبدلاً من انتشار الموت على البشريَّة مع آدم الأوَّل (رو ٥: ١٢)، سَادَت منذ الآن عليها الحياةُ مع آدم الثاني (رو ٥: ١٩). هذا التضامن الجديد سيمتدُّ إلى جميع البشر: "فكما أَنَّ زَلَّةَ إنسانٍ واحِدٍ أفضَت بجميعِ النَّاسِ إلى الإدانة، فكذلكَ بِرُّ إنسانٍ واحدٍ يأتي جميعَ النَّاسِ بالتَّبريرِ الَّذي يَهَبُ الحياة" (رو ٥: ١٨). ذاك هو مخطّط الله الرائع، الذي كُشِفَ في نهاية الزمن، فبَيَّن لنا أنّ التاريخ لا يمكن أن يكون سوى تاريخ خلاص.

(٨٦) "فكَما أَنَّ الخَطيئَةَ دَخَلَت في العالَمِ عَن يَدِ إنسانٍ واحِد، وبِالخَطيئَةِ دَخَلَ المَوت، وهكذا سَرى المَوتُ إلى جَميعِ النَّاسِ لأَنَّهُم جَميعًا خَطِئوا... فكَما أَنَّ زَلَّةَ إنسانٍ واحِدٍ أَفضَت بِجَميعِ النَّاسِ إلى الإدانة، فَكَذلِكَ بِرُّ إنسانٍ واحِدٍ يَأتي جَميعَ النَّاسِ بِالتَّبْريرِ الَّذي يَهَبُ الحَياة؛ فكما أَنَّه بِمَعصِيَةِ إنسانٍ واحِدٍ جُعِلَت جَماعةُ النَّاسِ خاطِئَة، فَكَذلِكَ بِطاعةِ واحِدٍ تُجعَلُ جَماعةُ النَّاسِ بارَّة" (رو ٥: ١٢–١٩).